

الاستدلال في نظرية المناسبة

Inference in relevance theory

د. لطفي الشيباني*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 9 أفريل (تونس) nacerlotfi1977@gmail.com

2023/03/03	تاريخ القبول	2023/01/31	تاريخ الإرسال
------------	--------------	------------	---------------

ملخص

لا تعدو نظرية "المناسبة" (Relevance Theory, 1989) أن تكون تيارا عرفانياً طرح من خلاله دان سبربر (Dan Sperber) و دايردر ويلسن (Deirdre Wilson) مقترحات نظرية وإجرائية في معالجة ضمنيّات القول والأعمال اللغوية، وهي مقترحات افترضت أن مبدأ المناسبة آلية تفسيرية تأويلية تعوّض ما صاغه غرايس (Grice, 1979) في عملية تأويل الأقوال. نهدف بهذا المقال إلى تبسيط الوصف اللساني العرفاني فيما يخص الاستدلال في نظرية المناسبة، وتقريبه مفاهيم وقواعد وآليات من طلابنا في الجامعات للأخذ والاستفادة. نتناول في هذا المقال نشأة الاستدلال غير البرهاني أولاً، ثم نسبر قواعده ومميزاته ثانياً، ونطرح ثالثاً آليات اشتغاله.

الكلمات المفتاحية: المناسبة؛ الآثار السياقية؛ المجهود العرفاني؛ الاستلزامات التأليفية؛ الاستلزامات التحليلية.

Abstract

The theory of relevance (Relevance Theory, 1989) originally developed by Dan Sperber and Deirdre Wilson (1995), has been one of the leading frameworks for a cognitive approach to pragmatics in the last few decades. It is a theoretical and procedural proposals for dealing with human cognitive communication and speech acts. It relates specifically to communication includes the Gricean claim that understanding an utterance is a matter of inferring what the speaker intended to transmit. The present study aims at simplifying the cognitive linguistic description regarding inference in the theory of relevance, and bringing it closer to our students in universities for consideration and benefit. Firstly, we discuss the emergence of non-demonstrative inference. Secondly, we explore its rules and characteristics, and then presenting its mechanisms.

keywords: relevance; contextual effects; cognitive effort; interpretive distinction; descriptive

1. مقدمة

يهتم هذا المقال بمفهوم الاستدلال وما يطرحه من قضايا في نظرية المناسبة، فننظر إليه بكونه جملة الآليات العرفانية التي يختزنها الإنسان ذهنياً، ونبرز طبيعته التي تتأسس على الاستنباط، وما يقتضي من قواعد الإلغاء، ونفسر من منطلقه ضمنيّات القول والاستعارة والسخرية ومستلزمات القول انطلاقاً من مفاهيم الفصل والوصل والشرط.

2- تعريف الاستدلال:

كانت الغاية من الاستدلال توليد التأثيرات العرفانية السياقية بكيفية صيرت الضمنيّ منشطاً للاستدلال من خلال الخطاطات المتشابهة التي عقلت حركيته. وتحتكم هذه التأثيرات إلى مبدأ المناسبة بوصفه مفهوماً يختزل القول تقبلاً وتأييلاً في المقام الذي لم يعد مكوّناً معطى، بل أصبح مقوماً أساسياً ديناميكياً يتحدّد بادعاء المناسبة القصوى التي يستوجب تحصيلها مسارا استدلالياً يعتمد مدخلين؛ الشكل القضويّ من جهة وضمنيات القول من ناحية أخرى. ويتوقف فهم الاستدلال باعتباره مسارا ذهنياً تمثّل مبدأ المناسبة، وما يقوم عليه من قواعد، وما يتطلّب من إجراءات.

وليس الاستدلال عند منظري المناسبة استدلالاً استنباطاً صارماً، وإنما هو استدلال غير برهانيّ يقوم على عملية عفوية ويحتكم إلى المناسبة، فيختلف عن عديد مناويل الاستدلال البرهانيّ لقناعتهما أنّ "عمليات الاستدلال التي تتدخل في الفهم غير برهانية" (Sperber & Wilson: 1989; p106)، ومرجع الاعتراض عن المناويل الاستدلالية المنطقية عدم قدرتها على الاستدلال والاشتغال العرفانيّ نظراً لإهمالها الجوانب العرفانية واقتصارها على السلامة المنطقية. بينما يمثل الاستدلال غير البرهانيّ الذي يولي أهمية للمظاهر العرفانية دعامة للأنظمة

الشكلية التي لا تفترض عمليات تأويلية تامة، وإنما يكفيها إجراء تقييم المستلزمات المتولدة عن معالجة ذهنية للقول.

يترتب عن ذلك أن الجهاز الاستنباطي الذي يقوم عليه مسار الاستدلال جهاز مرن لا يتقيد بصرامة الآليات المنطقية، وإنما يكون "قادرا على قراءة الأشكال المنطقية بالحفظ والمحو، قراءة تقارب خصائصها الشكلية وتدونها في ذاكرة العدة لتحصيل قواعد الاستنباط الموجودة في المفاهيم" (Sperber & Wilson:1989 ;p150)

ونتيجة للبحث عن المناسبة القصوى، يحتكم توليد المستلزمات السياقية إلى العدة التي تقوم على مسار استدلاي شامل (Processus inférentiel global)، وتستند إلى قواعد الإلغاء، وهي قواعد تضمن عدم التكرار، "فتوضع الفرضيات التي ستحوّل إلى مسلمات، وتقرأ العدة الفرضيات بتشغيل المداخل المنطقية لكل مفهوم من المفاهيم المكوّنة لها، وتبحث العدة عن فرضيتين تكونان مستجيبتين للوصف وتسجل في ذاكرتها الفرضية المولدة، في مسار يختزل كل استنباط ممكن" (Sperber & Wilson:1989 ;p149) ويوفر المسار الاستنباطي القائم على عمل العدة اقتصادا مهما في الذاكرة باعتباره يضمن صحة المستلزمات المنطلقة من مقدمات سليمة.

إذا كان ذلك، كان الاستدلال غير البرهاني آلية مقترحة من قبل منظري المناسبة في معالجة الأقوال، ويبدو أنها عملية معقدة تتضافر فيها المعارف الموسوعية والمعارف المنطقية أولا، وتتم بطريقة عفوية متكررة وفي نسقية لا يمكن التكهن بها أو بنتائجها. وتتأسس هذه الآلية على قواعد تكون مسجلة في المداخل المنطقية للمفاهيم.

2-1- قواعد الاشتغال:

يتأسس الاستدلال غير البرهانيّ على قواعد الإلغاء، وهي قواعد معيارية تستهدف تحصيل المناسبة من منطلق نظام شكليّ يختبرها في مفاهيم الوصل والفصل والاستلزام الماديّ، ويمكن التمييز بين ثلاث قواعد؛ قاعدة إلغاء "او"، وقاعدة إثبات التالي، وقاعدة نفي التالي، وهي قواعد تقوم على مداخل ومخارج، ونمثل لذلك بقول القائل؛

1- محمد يكتب، وعلي يلعب.

(أ) (ب)

يستلزم الاستدلال في لحظة أولى انتقال الذهن مستخدماً قاعدة الإلغاء من مدخل متمثلاً قضية مركبة بالوصل إلى مخرج يلغي الوصل والقضية (أ)، وهو ما ينتج (ب)؛

2- علي يلعب.

ويقع في لحظة ثانية إلغاء الوصل والقضية البسيطة (ب)، وهو ما يولّد (أ)؛

3- محمد يكتب.

يستوجب التحليل السابق أن تكون القضيتان البسيطتان صادقتين وذلك لأنّ الاستدلال ينصّص على مقدمة واحدة يطبق عليها القواعد التحليلية.

4- بحث زيد في مفهوم المناسبة.

5- إن يبحث زيد في مفهوم المناسبة يفهم الاستدلال غير البرهانيّ.

6- فهم زيد الاستدلال غير البرهانيّ.

تقوم قاعدة إثبات التالي بإثبات حصيلة قضية بسيطة صادقة (أ) وقضية مركبة شرطية (ب) بمقتضى قاعدة الإلغاء.

7- كتبت بحثاً أو مقالا.

أ- لم أكتب بحثاً.

ب- كتبت مقالا.

8- كتبت بحثا أو مقالا.

أ- لم أكتب مقالا.

ب- كتبت بحثا.

نستنتج (ب) انطلاقا من المثال (أ) ويتم إلغاء "أو"

انطلاقا من تطبيق قواعد الإلغاء يولد اشتغال العدة الاستدلالية مستلزما منطقيا، وهو مستلزم يفترض أن "يستلزم مجموع الفرضيات الفرضية (ب) إذا، فقط إذا، كانت (أ) فرضيات أولية تستعين بقواعد الإلغاء في التوليد، فإن (أ) تكون منتمة إلى الفرضيات النهائية" (Sperber & Wilson: 1989; p152) ، بما يؤكد أن الاستدلال الذي اعتمد في التحليل السابق استدلال استند في الاستنباط إلى مقدّمات يمرّ بمقتضاها إلى مستلزماته بإجراء القاعدة وقراءة المفاهيم. ونظرا للخوف من ضياع مجهود المعالجة وتحوله إلى طاقة مضاعفة تمكّ المسار الاستدلاليّ يستعيز منظرا المناسبة عن قواعد الزيادة بقواعد الإلغاء في مفاهيم الوصل والفصل والشرط؛ لأنّها تؤدي إلى نتائج غير عادية بطريقة اعتباطية.

2-2- دور الاستدلال باعتباره مسارا عرفانيا:

وقرّ جهاز الاستدلال غير البرهانيّ كفايات نظرية وآليات إجرائية، ونهض بوظائف منها استخلاص مقتضيات القول ومستلزماته السياقية وفق قواعد مضبوطة قامت على أنقاض نظرية غرايس، ومنها تغذية الكفاية الموسوعية، وتوليد الخطاطات المشابهة، وهو توليد استثمر في دراسة الاستعارة والسخرية، وفي تقديم تصنيف جديد للأعمال اللغوية.

2-2-1- استخلاص مقتضيات القول ومستلزماته:

أتاح مفهوم الاستدلال غير البرهانيّ إطاراً لمقاربة جديدة لضمانيات القول ، وهو مقاربة تستند إلى مبدأ المناسبة الذي يقوم على أن "كل عمل تواصلِيّ إشاريّ ينقل قرينة كونه مناسباً مناسبة قصوى".⁺ وتتكوّن قرينة المناسبة القصوى من مجموع الفرضيّات التي ينقلها المتكلم في قوله. وتكفي هذه الفرضيّات لتحقيق المناسبة، وليتمكن المخاطب من تأويل المثير الاستدلاليّ الذي يكون مناسباً عندما يستعمل المتكلم مجموع هذه الفرضيّات.

فمفهوم المناسبة مفهوماً اقترانياً يحدّد بشرطين رئيسين:

- مقولتيّ التأثيرات السياقيّة (Les effets contextuelles)

- المجهود العرفانيّ المبذول (L'effort cognitive)

فليكون قول ما مناسباً في سياق معيّن يجب أن يتوفر الشرطان التاليان:

- كلما أنتج قول ما تأثيرات سياقيّة في سياق معيّن كلّما كان ذلك القول

مناسباً في ذلك السياق.

- كلّما لم يتطلب قول ما مجهوداً في المعالجة (التأويل) في سياق معيّن كلّما كان

ذلك القول مناسباً في ذلك السياق. وكلّما تطلّب قول ما مجهوداً تأويلياً كبيراً في

سياق معيّن كلّما كان أقلّ مناسبة أو غير مناسب في ذلك السياق.

فمبدأ المناسبة هو أساس بناء الفرضيّات الضمنيّة التي تستخرج بواسطة

التنصيص على المحتوى القضوي للقول. ويحصل ذلك بعملية استدلالية تعقد

الصلة بين القول والسياق بهدف تحصيل التأثيرات السياقية، وهو ما اصطلح

عليه بعملية تنزيل القول في السياق (Contextualisation). وهي عملية تتحقق

ب"قران بين معلومات جديدة ومعلومات قديمة" (السابق).

2-2-2- التأثيرات السياقيّة: (Les effets contextuelles)

إنّ مبدأ المناسبة أساس توصيف عمليّة فهم الأقوال، وتوليد المستلزمات السياقيّة. ويحصل بعملية قياس التأثيرات السياقيّة التي ينتجها قول ما (فرضيّة ما) في سياق معيّن مع المجهود العرفانيّ المبذول في معالجة ذلك القول في السياق. فمقولة التأثير السياقيّ أساسيّة في تحقيق المناسبة، فكّلما ازدادت التأثيرات السياقيّة، كلّما ازدادت درجة المناسبة.

يقوم مفهوم المناسبة على مقولة التأثيرات السياقيّة من ناحية وعلى المجهود العرفانيّ أو التأويليّ الذي نعتمده في تأويل القول من ناحية أخرى. فالقول يؤول في علاقته بالسياق، ذلك أنّ السياق والقول يكوّنان مقدّمات الإجراء التداوليّ للتأويل الذي يكون إجراء استدلالياً. وتكون التأثيرات السياقيّة نتيجة للإجراء التأويليّ انطلاقاً من مقدّمات الصورة المنطقيّة للقول والقضايا المكوّنة للسياق.

نفترض أنّه إذا كان القول مناسباً في مستوى تأثيراته السياقيّة، فإنّ المخاطب يلتزم في بحث متواصل عن الآثار السياقيّة. وهذا ما يجعل التأويل قوياً في مناسبته. لكنّ الباحثين يشيران إلى أنّ هذا التأويل الأقصى يجب أن يصحّ بتأويل أدنى. وذلك لأنّه إذا ما وقع تداخل بين التأثير السياقي ومجهود المعالجة، فإن إجراء التأويل يتوقّف. ويعتمد المخاطب منهجاً استكشافياً في الفهم يتطلّب مواصلة سلسلة دنيا من المجهود في احتساب التأثيرات السياقية (Sperber & Wilson, 1989, p85-1986, 165). يمكن هذا العمل من إدراج القصد الإخباري للمتكلّم في القصد التواصليّ. إذ يكون للقول على الأقل تأثير يبرز قصده التواصلي. لكن كيف يتسوّى للمخاطب تأويل قول ما؟

2-2-3- المجهود العرفاني: (L'effort cognitive)

تستوجب مقولة التأثيرات السياقيّة التي تكون حصيلة معالجة ذهنيّة لقول ما في سياق معيّن مجهوداً ذهنياً تأويلياً، يكون ضرورياً لتحصيل التأثيرات

السياقية. فالمجهود العرفاني هو ثمن المعالجة، ولا قيمة له إلا بتوليده لمستلزم سياقي. وتكون التأثيرات السياقية (المستلزمات السياقية) نتاج عملية تأويل الأقوال. وتكون إما إضافة معلومة في حالة المستلزم السياقي لتأهيل المستلزم المستخلص من القول والسياق، وإما إلغاء معلومة، عندما يتناقض المستلزم السياقي أو الشكل القضوي لقول ما مع قضية مستخلصة من الذاكرة يقع إلغاء المعلومة الأضعف. وعندئذ نحتاج إلى دعم قوة القول التي نستخلص انطلاقاً منها المستلزم السياقي.

إن قول المتكلم يكون مناسباً عندما ينتج تأثيراً سياقياً عرفانياً "فالقول الذي يكون مناسباً في سياق ما هو القول الذي ينتج على الأقل تأثيراً في ذلك السياق" (Sperber & Wilson, 1986, p187). فكلما كان للقول تأثير سياقي في سياق معين كلما كان مناسباً في ذلك السياق. وكلما تطلب قول ما مجهوداً تأويلياً في سياق معين كلما كان أقل مناسبة في ذلك السياق.

ينتج المجهود التأويلي بواسطة الصورة المنطقية والفرضيات السياقية الشكل القضوي والتأثيرات السياقية لقول ما. وأهم أنواع التأثيرات السياقية، هو "المستلزمات السياقية". فالمستلزم السياقي هو "المستلزم الذي لا يستنتج من الشكل القضوي فقط أو من الفرضيات السياقية فقط إنما يكون نتيجة التأليف بينهما" (Moschler, 2009, p183).

3- مفهوم السياق: (Notion contexte)

مناسبة القول لا تتحقق إلا إذا توفّر سياق معين تتوصل انطلاقاً منه وبوساطته إلى مستلزم سياقي. وفي المقابل إذا لم يغيّر قول ما من الفرضيات المكوّنة للسياق، فإنه لا يولّد مستلزمات سياقية، ولا يكون بالتالي مناسباً. يتكوّن السياق الذي نؤول بوساطته الأقوال من أنواع من الفرضيات التي تكون عبارة عن معلومات مختلف مستويات الذاكرة، ومعلومات المحيط الفيزيائي، وتكوّن هذه

الفرضيات المحيط العرفانيّ للمخاطب. فالسياق جزء من المحيط العرفانيّ الذهنيّ،"، ويتولّد مع الأقوال، فهو مشروع، وسيرورة تصاحب عملية التلفظ" (Sperber&Wilson, 1989,p211).

يكون "المحيط العرفانيّ لشخص ما هو جملة الوقائع البيّنة، والواقعة البيّنة لشخص ما هو تمثله الذهنيّ" (Sperber&Wilson, 1989,p62-65). يتحوّل السياق إلى مجموع الفرضيات التي تمثّل مقدّمات أو خلفيات متغيّرة موجّهة لمعالجة القول. فهو بناء ذهنيّ، لا يكون معطى ثابتاً وإنما هو متكوّن باستمرار قول بعد قول ولا تمثل المعلومات تصوّريّة المعلومات الوحيدة المكوّنة للسياق ولكّنها تدعم بتأويل الأقوال السابقة والمحيط الفيزيائيّ للتواصل" (Sperber&Wilson, 1989,p25). نستنتج أنّ اعتبار نظريّة المناسبة نظريّة في تأويل القول يستوجب تحديد مراحل التأويل التالية:

- معرفة المخاطب بالمتكلّم ومقتضياته، ومعرفته بسياق القول. ولا يتم ذلك إلا بتفكيك القول وإعادة بنائه.

- إسناد صورة قضيّة للقول (مرحلة التمثيل الدلاليّ)

- تفكيك القول وتعيين الوحدات المعجميّة.

- التمييز بين ما قاله المتكلّم وبين ما لم يقله أي بين الصريح والضمني.

- وجوب الفصل بين قوة القول التي لا تكون إلا ضمنية والصورة المنطقية.

- التمييز الدقيق بين مستويات الوصف والتمثيل، فالقول في تصوّر منظريّ

المناسبة تمثيل لموقف أو فكرة عند المتكلّم، فهو "تعبير تأويلي لفكرة أو موقف من

أفكار المتكلم يسمح للمخاطب بأن يقوم بفرضية تأويلية تبحث عن القصد

الإخباري لمنشئ القول" (Sperber&Wilson, 1989,pp230-235).

سعت نظرية المناسبة إلى وضع نظام لاحتساب المستلزمات انطلاقاً من مبدأ المناسبة وانطلاقاً من مفهوم الاستدلال، يتأسس على مقولتي التأثير السياقي والمجهود التأويلي. فكان مفهوم المناسبة مفهوماً اقترانياً (Sperber & Wilson, 1989, p124) يقوم على قاعدتين: كلما ازداد حجم التأثيرات السياقية لقول ما (فرضية) في سياق معين ازدادت درجة مناسبته في ذلك السياق. وكلما ضعفت ضعفت مناسبتها. كلما تضاعف حجم المجهود الذهني المبذول في معالجة قول ما (فرضية ما)، في سياق معين ازدادت درجة مناسبته في ذلك السياق. وكلما قوي المجهود التأويلي كلما قلت مناسبته.

مقولة التأثير السياقي مقولة أساسية لتوصيف عملية فهم القول، فعملية فهم المخاطب للقول تقوم على تجميع فرضيات مختلفة ضمن سياق معين وفق نظام معين ليتوصل إلى معلومات جديدة من المستلزمات التأليفية التي تتيحها له فرضيات القراءة. وهي مقولة تمكن من وصف خاصيتين أساسيتين لفهم الأقوال؛ التأثيرات السياقية للقول من جهة، حجم الجهد التأويلي الذهني الذي تتطلبه معالجة ذلك القول في سياق معين من جهة ثانية (موقو، 2012، ص 587). يصير هذا التأثير السياقي عاملاً محورياً في تعريف مفهوم المناسبة. فلا مناسبة لقول ما دون وجود تأثير سياقي، ذلك أنه كلما ازدادت التأثيرات السياقية كلما ازدادت درجة المناسبة.

وقّرت نظرية المناسبة إطاراً نظرياً لحساب المستلزمات، انطلاقاً من مقولتي التأثير السياقي والجهد التأويلي المبذول. ومنحت كميّات تشغيل المداخل المنطقية للمفاهيم، انطلاقاً من نوعين من القواعد:

- القواعد التحليلية (Les règles analytiques) نستخلص بوساطتها المستلزمات التحليلية (Les implications analytique)، ويعرّف عند منطري المناسبة التعريف التالي: "تستلزم جملة الفرضيات (أ) مستلزماً تحليلياً

الفرضية (ب) إذا وفقط إذا كان (أ) أطروحة نهائية ناتجة عن عملية استنباط، يكون المستلزم نتيجة تطبيق قواعد تحليلية" (Sperber&Wilson, 1986, pp10-16). ترتبط المستلزمات التحليلية بالمفاهيم دون الفرضيات ولا تؤدي إلى الاستنباط الشامل، لكنها تمثل ضرورة ما قبلية في فهم الأقوال، فتكون خارجة عن السياق، تمثل معطى ما قبلًا يكون ضروريًا لفهم القول، فهذا الصنف من المستلزمات هو بمثابة مقتضيات القول.

-القواعد التأليفية؛ (Les règles synthétiques) التي نستخلص بوساطتها المستلزمات التأليفية (Les implications synthétiques)، وهو أن "تستلزم جملة الفرضيات (أ) مستلزمًا تأليفيًا (ب)، إذا وفقط إذا كان أطروحة نهائية ناتجة عن عملية استنباط، يكون المستلزم نتيجة تطبيق قواعد تأليفية" (Sperber&Wilson, 1986, p10).

ترتبط المستلزمات التأليفية بالفرضيات، وتكون محايدة للقول، أهمها عند الباحثين الاستلزام السياقي الذي يكون نتيجة التأليف بين مقدمتين: مقدمة تمثل القول تستند إلى تحليل المفاهيم ومقدمة السياق. ويشمل الاستدلال توليد رقائق ضمنية تختلف في علاقتها بالقول، فتكون مستلزمات تحليلية، وهي عبارة عن مقتضيات تكون ضرورية لإنتاج القول، وتكون مستلزمات تأليفية، وهي أقرب إلى المستلزمات المنطقية وتعرف بأن "يولد مجموع الفرضيات (أ) سياقًا (ب) في سياق معين (س) إذا وفقط إذا استلزم القران بين (أ) و(س) بطريقة عادية (ب)، لا تستلزم (أ) بصفة عادية (ب)، و(ت)، لا يستلزم (س) بصفة عادية (ب)" (Sperber&Wilson, 1986, p166).

تتأسس المستلزمات السياقية، وهي مستلزمات تأليفية، على إضافة معلومة جديدة انطلاقًا من فرضيتين أو مقدمتين، وتتطابق مع المستلزمات الخطابية

التحادثية عند غرايس، ولكنها لا ترتبط بحكم المحادثة، وإنما بالبحث عن المناسبة كآلية متصلة بنظام الفهم، فهي تمثل جزءا من الضمنيّات.

4- تطوير الكفاية الموسوعيّة:

تشتغل في ذهن المتكلم في عمليّة إنتاج القول، وفي ذهن المخاطب في عمليّة تأويله كفايات متنوعة، فيحدث استرسال بين الكفاية الموسوعيّة والكفاية المنطقيّة، وهو استرسال ينمي الاستدلال المستند إلى قواعد تحليليّة وتأليفيّة، وينتج معارف تأليفيّة بكيفيّة يطوّر الاستدلال تلك الكفايات بتطوير فرضيات المتكلم، وتفادي النقص الحاصل، بإغناء تلك الفرضيات بتوليد خطاطات استدلالية.

4-1- توليد الخطاطات المشابهة:

ينمي الاستدلال الاستنباطي غير البرهاني معارف المتكلم بحالة الأشياء في الكون، بتغير محيطه العرفانيّ بوساطة ما تتيحه له اللغة من وسائط، فالقول المبني عرفانيّا يولّد استدلالات فقولك:

9- إذا كان محمد يعيش حياة بسيطة، إذن سيكون سعيدا. (إذا (أ) إذن (ب)) يستلزم القول أنّ:

10- إذا لم يكن محمد يعيش حياة بسيطة، إذن لن يكون سعيدا. (إذا-)

(أ) إذن (ب)

يكشف التمثيل السابق طريقة اشتغال المستلزم انطلاقا من آليات توليد الخطاطات المشابهة، وهي طريقة تخضعه إلى ثنائيّة الكثافة والانتشار.

4-2- آلية الاشتغال:

قام المسار الاستدلالي التآويلي في نظرية المناسبة على كون منطلق الفهم هو تكوين فرضيات، وهو منطلق توكل إليه مهمة توليد تأثيرات سياقيّة عرفانيّة على

قاعدة تحصيل المناسبة القصوى، فأن نستدل هو أن نبي فرضيات حول القصد الإخباري والقصد التواصلية انطلاقاً من مبدأ المناسبة. لذلك قام جهاز الاشتغال على دعامين؛ الأولى، تتمثل في الاستدلال استناداً إلى صريح للقول باعتباره ركيزة نحوية على التأثيرات السياقية سواء أكانت هذه التأثيرات مقتضياته التي تم احتسابها أم مستلزماته، فتتصل بالاستدلال على ضمنيات القول.

4-2-1- المستلزمات:

ترتكز معالجة القول على عملية إنتاجه وعملية فهمه، لهذا قام الاستدلال عند سبربر وويلسن على تحصيل التأثيرات السياقية التي يسمح بها مبدأ المناسبة، وهو استدلال استند في تصنيف ما نعمل باللغة عرفانياً إلى وظائف اللغة التمثيلية وكفايات المتكلمين، وفي علاقة اللغة بالكون وصفا وتمثيلاً.

تقوم عملية التأويل باعتبارها عملية استدلالية فهما وتأويلاً على فرضيات ذهنية تكون وسائط لاستخراج قصد المتكلم انطلاقاً من قرائن لغوية ومقامية استناداً إلى مبدأ المناسبة، ونميز هنا بين الوصف، ويقصد به الباحثان أن تكون للمخاطب قدرة على التمثل في علاقته بقول المتكلم، وأن يترك المتكلم المنتج للقول دلائل يستدل بها المخاطب على قصده، والتأويل بما هو بحث في الفكرة التي يختزلها قول المتكلم والتي يولد على أساسها المخاطب فهما يستند إلى شروط الصدق فيما يخص معرفته ببنية المفاهيم.

انطلاقاً من هذا التصور، عالج الباحثان الخطاطات المتشابهة (Schémas apparentés)، وهي خطاطات تنتج مستلزمات القول وتتصل بقواعد استدلال "تنشأ دائماً عن مبدأ المناسبة" (Sperber & Wilson, 1986, p343). وي طرح إشكال يتمثل في: كيف يتعرف المخاطب على مستلزمات قول المتكلم؟ جميع مستلزمات القول المقترنة بمبدأ المناسبة توكل مهمة استخراجها للمخاطب.

4-2-2- الاستعارة ومبدأ المشابهة:

الاستعارة في نظرية المناسبة علاقة تأويلية بين الشكل القضوي والفكرة التي يبلغها القول، وتدخل الاستعارة ضمن مسار عرفاني" فلا تستوجب إجراءات تأويلية خاصة وإنما تحدث بصفة طبيعية من قدرات الإنجاز المتولدة عن الاستخدام الشامل" (Sperber&Wilson, 1986, p355)، فتستوجب استثمار كفايات لسانية وموسوعية وعرفانية. وتقوم الاستعارة على تكوين فرضيات، ويختلف توليد شكلها القضوي عن الصريح لأنها تتأسس على مفارقة بينها وبين الحرفي، ونشير إلى مسألة مهمة تتعلق بكون المشابهة حرفية كانت أو غير حرفية لا تبين إلا بالاستدلال بمعونة المقام واستنادا إلى التنصيص على مبدأ المناسبة، فنحصل على مشابهة تامة إذا حدثت مطابقة بين المستلزمات السياقية والمستلزمات التحليلية التي نعدّها مقتضيات القول، وينتج عدم المطابقة المشابهة الجزئية المنتجة للاستعارة" ومن منطلق البحث عن المناسبة القصوى يطرح المتكلم تأويلا أكثر مناسبة أو أقل لفكرته، ويستخلص عبارة حرفية أو عبارة استعارية" (Sperber&Wilson, 1986, p355)، فالقول الاستعاري لا يمثل استعمالا منحرفا عن استعمال اللغة، فالمتكلم يستخدم قولا منسجما مع مبدأ المناسبة، والمخاطب يؤول القول تأويلا منسجما مع هذا المبدأ. بكيفية تكون الاستعارة استعمالا عاديا للغة.

ونتيجة الاسترسال بين الشكل القضوي والفكرة التي يعبر عنها المتكلم يولد الاستدلال مستلزمات سياقية وأخرى منطقية ومقتضيات بالدمج بين مداخل متعددة وقواعد متنوعة وكفايات موسوعية ولسانية بصورة تصبح الاستعارة خلقا قوة وضعفا وتكون استدلالا تأويليا من درجة أولى تختلف عن الأعمال اللغوية التي تكون استدلالا تأويليا من درجة ثانية.

3-2-4- الأعمال اللغويّة:

قام تصوّر منظري المناسبة للأعمال اللغويّة على أنقاض تصنيف أوسين (Austin; 1970) وسيرل (Searle; 1972) للأعمال اللغويّة الخبريّة والإنجازيّة، فنفى سبربر وويلسن المواضعة وأقرأ بأهميّة مفهوم الاستدلال وقدّما تصنيفا مختلفا بالزيادة والحذف عما كان متداولاً، ويوليان أهمية لمتضمنات القول التي صنفت إلى؛ صنف أول؛ "القول إنّ" (dire que)، صنف ثان؛ "الأمر ب" (dire de)، صنف ثالث؛ "السؤال عن" (demander si)

وهو تصنيف احتكم إلى مقياس درجة التماثل في مستوى الإنجاز، وفي مستوى الصورة المنطقيّة، وأوكل للمكوّن الاستدلاليّ مهمة التمييز ومهمة توليد تأويل منسجم. ويقوم الاستدلال على قران بين الصورة المنطقيّة والقيود الدلاليّة والمبادئ المقاميّة التي تسيج القول، ويتحقّق انطلاقاً من مجموع الفرضيات المقاميّة، وهو منهج مكنّ من تفسير العمل اللغويّ وتأويله.

5- تحليل النتائج:

إنّ الاستدلال من القوّة المقصودة بالقول، هو استدلال على قصد المتكلم، باستخراج مستلزمات قوله، أيّ المستلزمات السياقيّة التي تحدث نتيجة قران ينصّص على المناسبة القضيويّة، ويشترط مقولتيّ التأثيرات السياقيّة والمجهود العرفانيّ دون أن يغفل دور المقام في ذلك.

6- الخاتمة:

تطرح نظرية المناسبة مقترحات نظريّة وإجرائيّة في معالجة الأقوال وتأويلها من منطلق مبدأ المناسبة وما يقوم عليه من مسار استدلاليّ يستند إلى مقولتيّ التأثيرات السياقيّة والمجهود العرفانيّ، وهو مسار قام على العناية بقواعد التأويل أكثر من عنايته بقواعد إنتاج الأقوال.

7- قائمة المراجع:

Sperber(Dan)&Deirdre(W);(1989), *La Pertinence. Communication et cognition*, Paris, Minuit.

;(1986), «*La Pertinence ;communication et cognition*» pour la traduction by les éditions de Minuit,Paris1989.

-Austin(J.I.),(1970) « *Quand dire c'est faire* »seuil ,Paris(1ère éditions ,How to do things with world,O,U,L,Oxford 1962).

- Grice(H.Paul),(1979) ; « *Logique et conversation* », communication, (trad de logic and conversation 1975)

(1991) ; « *Logic and conversation* », (in)Conditionals,Edited by Frank Jackson,Oxford University Press,New York.

Searle(J.R)(1972) ; « *les actes de langage* »,Essaiphilosophie,Herman.Paris (1ère Editions,speech acts,cambridge University,Press,New York,London).

موقو(2012)ضمن ندوة"إطلاالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، الجزء الثاني،2012،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون"بيت الحكمة"مقال"الإفادة"ص ص585-612.